﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧﴾ [الشّورى: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الوعيدُ تحذيرٌ لطلبِ الاستجابةِ

لمّا أطنبتِ الآياتُ القرآنيّة فيما سبق في ذِكْر الوعدِ والوعيدِ؛ ذكرت بعدَهُ المقصودَ من هذا التّرهيب، وهو دعوة الظّالمين المنحرفين عن طريق الهدى إلى أن يستجيبوا لربّهم، فقالَ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾[1].

ومنها: لمّا ذكرَ تعالى في الآيات السّابقة ما يكونُ في يوم القيامةِ مِنَ الأهوالِ والأمورِ العِظام؛ حذَّرَ منهُ، وأمرَ بالاستعدادِ لهُ؛ للنَّجاةِ مِنْ هذهِ الأهوالِ بقوله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾: (جوب) أصلٌ يدلُّ على مراجعةِ الكلامِ[3]، وجوابُ الكلام هو ما يقطع الجَوْب؛ فيَصلُ من فم القائل إلى سمع المستمع؛ لكن خُصّ بما يعود منَ الكلام دون المبتدأ منَ الخطاب، ومِنْ ذلكَ: الجوابُ الَّذي يقالُ في مقابلةِ السُّؤالِ، والاستجابةُ: الإجابةُ، وحقيقتُها: هي التَّحرّي للجوابِ والتَّهيُّؤ لهُ[4]، ومعنى ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾: أجيبوهُ إذا دعاكم إلى ما فيهِ نجاتُكم[5].

2) ﴿لَّا مَرَدَّ﴾: (ردد) أصلٌ يدلُّ على رَجْعِ الشَّيءِ، تقولُ: رَدَدْتُ الشَّيءَ أَرُدُّهُ رَدًّا، وسُمِّيَ المُرتدُّ بذلكَ؛ لأنَّهُ أرجعَ نفسَهُ إلى الكفرِ[6]،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 608، والزّحيليّ، التّفسير المنير: 25/ 98.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 215، وأبو موسى، آل حم، ص: 218.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جوب).
(4) الرّاغب، المفردات: (جوب).
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 60.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ردد).

وقيلَ: الرَّدُّ: صرفُ الشَّيءِ بذاتِهِ أو بحالةٍ مِنْ أحوالِه، فمِنَ الرَّدِّ بالذّاتِ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومِنَ الرَّدِّ إلى حالةٍ كانَ عليها قولُهُ سبحانَهُ: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149][1]، ويقالُ: استردَّ الشَّيءَ، أي: استرجعَهُ[2]، ومعنى ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لا يردُّهُ أحدٌ بعدَ ما حكمَ بهِ سبحانه[3].

3) ﴿مَّلْجَإٍ﴾: (لجأ) أصلٌ يدلُّ على حيِّزٍ قويٍّ حصينٍ، يحفظُ ما يلوذُ بهِ ويدخلُهُ[4]، ومِنْ ذلكَ: الملجأُ، وهو ما يُتحصَّنُ بهِ قلعةً كانَ أو نحوَها، ويُطلَقُ على النّاسِ أيضًا، فيقالُ: فلانٌ ملجأُ فلانٍ، أي: يحوطُهُ ويحويهِ[5]، والمرادُ بالملجأِ هنا: ما يُلاذُ بهِ[6].

4) ﴿نَّكِيرٍ﴾: (نكر) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ المعرفةِ[7]، فالإنكارُ ضدُّ العِرْفانِ[8]، ويقالُ: أنكرتُ على فلانٍ، إذا فعلتُ بهِ فعلًا يردعُهُ[9]، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤﴾ [الحج: 44]، وأصلُه أن يَرِد على القلب ما لا يتصوّره، ومعنى ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكارٌ وجحودٌ لِما اقترفتُم[10].

المَعْنى الإجْماليُّ:

اتِّقاءُ العذابِ يكونُ بالإيمانِ والطّاعةِ

يأمرُ اللّهُ تعالى المسرفينَ على أنفسِهم بالكفرِ، فيقولُ: أجيبوا داعيَ اللّه، وهو رسولُه، وآمِنوا به، واتَّبِعوهُ على ما جاءَكم بهِ مِنْ عندِ ربِّكم، مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ يومٌ عظيمٌ، لا شيءَ يَرُدُّ مجيئَهُ، وذلكَ

(1) الرّاغب، المفردات: (ردد).
(2) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (ردد).
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 60.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (لجأ).
(5) الرّاغب، المفردات: (لجأ).
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 60.
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نكر).
(8) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (نكر).
(9) الرّاغب، المفردات: (نكر).
(10) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 60.

يومُ القيامةِ أو يومُ ورودِ الموتِ، ما لكم أيُّها المخاطَبونَ مِنْ مَعْقِلٍ تحترزونَ فيه، ولا ملجأ تلجؤونَ إليه، ولا عُذْرَ لكم، أو لا مُنكِرَ لِما يُلِمُّ بكم منَ العذاب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّةُ فصلِ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافُ كلامٍ جديدٍ، فيه معنى النَّتيجةِ للمواعظِ المتقدِّمةِ؛ لأنَّ ما تقدَّمَ مِنَ الزَّواجرِ يُهيِّئُ بعضَ النُّفوسِ لقَبولِ دعوةِ الإسلامِ[2].

الزَّواجرُ تُهيِّئُ بعضَ النّفوس للقَبول

نُكْتَةُ الالتفاتِ في: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾:

في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ التفاتٌ مِنَ الغَيبةِ إلى الخطابِ، غرضُه بيانُ مزيدِ عنايةٍ، ولفتُ انتباهِ عباده للاستجابة إلى دعوته سبحانه، ولهُ دلالةٌ أخرى، وهي رفعُهم إلى مقامِ خطابِهِ جلَّ شأنُهُ، وتقريبُهم منهُ، وأنَّهُ صارَ معَهم، وهذا أدعَى إلى الإجابةِ[3].

الاهتمامُ بالمخاطَبِ مِنْ دواعي الإجابةِ

دلالةُ الأمرِ في: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾:

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ للوجوبِ، فيُفيدُ أنَّ استجابةَ المخاطَبينَ أمرٌ فَرْضٌ عليهم، ويدلُّ على الوجوبِ ما في السِّياقِ مِنَ التَّهديدِ لغيرِ المستجيبينَ، وفيه دلالةٌ على تأكيد الاستجابة وسرعةِ القيام بمضمون ما فيها؛ لأنّها عنوانٌ على طاعتهم للّه ربِّ العالَمين.

الاستجابةُ للهِ واجبةٌ

سرُّ التّعبيرِ بالاستجابة دونَ الإجابة:

آثَر القرآن الكريم التّعبيرَ بقوله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾ بزيادةِ السِّينِ والتّاءِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ دون (أجيبوا)؛ لأنّ

طلبُ الإجابةِ مؤكَّدٌ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 555، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 215، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 61.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.

(3) أبو موسى، آل حم، ص: 218.

الاستجابة تكون فيما فيه القَبولُ لِما دُعِيَ إليه؛ بخلاف أجاب، فهو أعمّ لأنّه قد يجيب بعدم القَبول، وبينهما عمومٌ وخصوص وجهيّ، كما أنّ الهمزة والسّين والتّاء تدلّ على الطّلب، وكأنّ الآية تُعَلّمُهم طلبَ التّوفيق منَ الله للإجابة[1]، ويجوز أن تكون السّين والتّاء لتأكيدِ الأمرِ بالإجابةِ[2]، ولذلكَ لم يُقَلْ: (وأجيبوا ربَّكم)، أو نحوُ ذلكَ.

بلاغةُ المجازِ في لفظِ الاستجابةِ:

امـتـثـالُ أمـرِ اللهِ فـرضٌ على النّاسِ

أُطلِقَتِ الاستجابةُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ على امتثالِ ما يطالبُهم بهِ النَّبيُّ ﷺ تبليغًا عنِ الله تعالى على طريقةِ المجازِ؛ لأنَّ استجابةَ النِّداءِ تستلزمُ الامتثالَ للمُنادي، وقد كثُرَ إطلاقُها على إجابةِ المستنجِدِ، والمعنى: أطيعوا ربَّكم، وامتثلوا أمرَهُ[3].

دلالة اللّامِ في: ﴿لِرَبِّكُم﴾:

المـبـالـغـةُ في الاستجابةِ للهِ

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ لتأكيدِ تعديةِ الفعلِ إلى المفعولِ، نحوُ: حمدتُ لهُ، وشكرتُ لهُ، وتُسمَّى لامَ التَّبليغِ، ولامَ التَّبيينِ، وأصلُهُ: استجابَ دعاءَهُ لهُ، أي: لأجلِهِ لهُ، فاختُصِرَ لكثرةِ الاستعمالِ، فقالوا: استجابَ لهُ، وشكرَ لهُ[4].

سرُّ إيثارِ لفظِ الرُّبوبيَّةِ (ربكم) دون لفظ الجلالة:

المُحسِنُ حَرِيٌّ بالاستجابةِ لهُ

جاء التّعبيرُ القرآنيّ بإسناد الاستجابة للفظ الرّبوبيّة (ربكم) مضافًا إلى ضميرِ المخاطَبينَ في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾، دون لفظ الجلالة (الله) كما في سورة الأنفال: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 24]؛ لِما يدلُّ عليهِ هذا اللَّفظُ مِنَ الإحسانِ والتَّربيةِ، والتَّذكيرِ بنعمةِ الإيجادِ مِنَ العدمِ، وفي ذلكَ حثٌّ على الإقبالِ والاستجابةِ، أي:

(1) السَّمين، الدّرّ المصون: 2/ 290.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131، وأبو موسى، آل حم، ص: 219.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131، وأبو موسى، آل حم، ص: 219.

استجيبوا لربِّكم الَّذي لم تَرَوْا إحسانًا إلّا وهو منهُ[1]، وإذا مسَّتْكم البأساءُ والضَّرّاءُ ضلَّ مَنْ تدعونَ إلّا إيّاهُ[2]، ولِما في هذهِ الإضافةِ مِنَ التَّقريبِ لهُم، والتَّحبُّبِ لهُم؛ بخلاف موضع سورة الأنفال؛ فالسّياق مختلف؛ حيثُ جاءت هذه الآية بعد الحديث عن غزوة بدر وما يتعلّق بها منَ الجهاد والقتال، والنّفسُ بطبيعتها يتغلّب عليها حُبّ الدّنيا؛ فتحتاج في مثل هذا إلى تربية المهابة في القلوب؛ لتعظيم التّشريعات؛ فناسبَ ذلك التّعبيرُ بلفظ الجلالة.

بلاغةُ حذفِ مُتعلَّقِ الاستجابةِ:

وجوبُ الامتثالِ لكلِّ ما أمرَ اللهُ بهِ

حُذِف متعلّق الاستجابة في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ لإفادة العموم؛ أي: استجيبوا لربِّكم فيما دعاكُم إليهِ بواسطةِ رسولِهِ ﷺ، مِنَ الوفاءِ بعهدِهِ في أمرِهِ ونهيِهِ[3]، وفيه إشارةٌ إلى ضرورةِ الاستجابةِ لكلِّ ما دعا إليهِ ﷺ.

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿مِّن﴾ في: ﴿مِّن قَبْلِ﴾:

الظّاهرُ أنَّ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لابتداءِ الغايةِ الزَّمانيَّةِ، فتفيدُ وجوبَ الاستجابةِ لهُ سبحانَهُ قبلَ زمنِ مجيءِ اليومِ الَّذي لا مَرَدَّ لهُ مِنَ اللهِ.

دلالةُ دخولِ ﴿مِّن﴾ على الظّرفية في: ﴿مِّن قَبْلِ﴾:

مِنْ رحمةِ اللهِ بعبادِهِ التَّوسعةُ في زمنِ الاستجابةِ

لمّا كانَ الخوفُ مِنَ الفَوْتِ موجِبًا للمبادرةِ؛ قالَ تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ بإثباتِ حرفِ الجرِّ، ولم يقل: (قبلَ)، مشيرًا بالجارِّ إلى أنَّهُ يُعتدُّ بأدنَى خيرٍ يكونُ في أدنَى زمنٍ يتَّصلُ بالموتِ[4]، وفي ذلكَ رحمةٌ بهِم؛ لأنَّهُ سبحانَهُ يقولُ: استجيبوا وأنتُم في فُسْحةٍ، مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ اليومُ الَّذي لا تُقبَلُ فيهِ الإجابةُ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 218.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347.
(5) أبو موسى، آل حم، ص: 219.

سرُّ التَّعبيرِ بالإتيانِ دونَ المجيءِ:

إتيانُ اليومِ الموعودِ يسيرٌ على اللهِ

عُبِّرَ بالإتيانِ دونَ المجيءِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ لأنَّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولةٍ، ومِنْ ذلكَ قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهِهِ: أتِيٌّ، وأتاوِيٌّ[1]، والمجيءُ أعمُّ[2]، فيكونُ في التَّعبيرِ بالإتيانِ هنا إشارةٌ إلى أنَّ إتيانَ اليومِ الموعودِ أمرٌ يسيرٌ على اللهِ تعالى، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ التَّلويحِ بالوعيدِ، وفي التَّعبيرِ به توبيخٌ لعَبَدةِ الأصنامِ بأنّ أصنامهم لا تملك من أمرِ هذا اليومِ شيئًا.

نُكْتَةُ صيغةِ المضارعِ في: ﴿يَأۡتِيَ﴾:

إتيانُ اليومِ الموعودِ أمرٌ مستقبلٌ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾؛ لأنَّ هذا الإتيانَ أمرٌ مستقبلٌ، لم يتحقَّقْ بعدُ، وصيغةُ المضارعِ تفيدُ ذلكَ، وممّا يُذكر في سرّ التّعبير به الدّعوةُ إلى استحضارِ مشاهدِ هذا اليومِ، ليكونَ ذلك واعظًا لهم إلى الاستجابةِ لأمرِ ربّهم، ولأمرِ رسولِهِ ﷺ.

سرُّ التّعبيرِ بالمصدرِ المؤوّلِ ﴿أَن يَأۡتِيَ﴾:

إتيانُ اليومِ الذي لا مَردّ له يقترب منَ النّاس بمرور الزّمن

أوثِرَ التّعبيرُ بالمصدرِ المؤوّلِ ﴿أَن يَأۡتِيَ﴾؛ لدلالته على أنّ إتيانَ اليومِ الذي لا مَردّ له يقترب منَ النّاسِ بمرورِ الزّمنِ، وفي هذا تصويرٌ لقُرْبِ الحَدَثِ بوقوعِ آياتٍ ومشاهدَ تدلّ على قُرْبِ إتيانه.

غرضُ تنكيرِ ﴿يَوۡمٞ﴾:

عِظَمُ شأنِ اليومِ الموعودِ

الظّاهرُ أنَّ تنكيرَ ﴿يَوۡمٞ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ لتعظيمِ شأنِ هذا اليومِ، أي: مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ يومٌ هائلٌ فظيعٌ عظيمُ الشَّأنِ، بدليلِ ما وُصِفَ بهِ هذا اليومُ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾، وهذا اليومُ الموعودُ هو يومُ القيامةِ، أو يومُ ورودِ الموتِ[3].

---

(1) الرّاغب، المفردات: (أتي).

(2) الرّاغب، المفردات: (جاء).

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 609، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 347.

سرُّ نسبةِ المَرَدّ إلى اليوم:

أُسند المَرَدّ إلى اليوم في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ مع أنّ الخَلْق همُ المقصودون؛ للمبالغة في تهويل هذا المشهد للظّالمين حتّى يستجيبوا لربّهم، ويُقْبِلوا على ما دعاهم إليه منَ الإيمان.

المبالغةُ في تهويل مشهد ذلك اليوم للظّالمين حتّى يستجيبوا لربّهم

بلاغةُ التّعبيرِ بـ ﴿لَّا﴾ النّافيةِ للجنسِ:

جيءَ بـ ﴿لَّا﴾ النّافيةِ للجنسِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾؛ لإرادةِ التّنصيصِ على نفيِ جميعِ أفرادِ جنسِ المَرَدِّ، وهذهِ الجملةُ شديدةُ الاختصارِ، قويَّةُ الدِّلالةِ، وحاسمةٌ في أنَّ هذا اليومَ إذا جاءَ لا يُرَدُّ بأيّ صورةٍ مِنْ صوَرِ الرَّدِّ، وهذا مِنْ أفعلِ العقائدِ في النُّفوسِ وأشدِّها تأثيرًا[1].

أمرُ اللهِ لا يُرَدُّ بأيِّ صورةٍ مِنَ الصّوَرِ

سرُّ التّعبيرِ بـ: ﴿لَّا مَرَدَّ﴾:

أوثر التّعبيرُ بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ﴾ دون لا مرجع؛ لأنّها تومِئُ إلى قولِ الظّالمينَ لمّا رأوا العذابَ: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۝٤٤﴾ [الشّورى: 44]، وكأنَّ الآيةَ تُذكِّرُهم بالأهوالِ وهي تدعوهُم إلى اللهِ[2]، وفي التّعبير به دونَ المرجع إشارةٌ إلى أنّ المَردّ يقع بفعل فاعل، لذلك عَبّر به في الآية، لِما يُشير إليه منِ انتفاء الرّدّ الحاصل بفعل فاعل.

ذِكْرُ عواقبِ العصيانِ مِنْ مُؤيِّداتِ الدّعوةِ إلى اللهِ

دلالة اللّامِ في: ﴿لَهُۥ﴾:

اللّامُ الجارَّةُ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ للاختصاصِ، والمعنى: لا مَرَدَّ لإثباتِه، بل هو واقعٌ، و﴿لَهُۥ﴾ خبرُ ﴿لَّا﴾ النّافيةِ[3].

دلالةُ ﴿مِنَ﴾ في: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيَّةٌ، وهو ابتداءٌ مجازيٌّ[4].

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 219.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 219.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131.

بلاغةُ موقعِ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ حيثُ الإعرابُ:

لا رادَّ لِما حَكَمَ اللهُ بهِ

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿لَّا مَرَدَّ﴾، أي: لا يَردُّهُ اللهُ بعدَما حَكَمَ به، أو متعلِّقٌ بـ ﴿يَأۡتِيَ﴾، أي: مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ مِنَ اللهِ يومٌ لا يَقدِرُ أحدٌ على ردِّهِ[1]، والأوَّلُ أنسبُ؛ لأنَّ الإتيانَ مِنَ اللهِ تعالى واضحٌ، لا فائدةَ في الإخبارِ به، والمقصودُ نفيُ إمكانِ ردِّهِ مِنَ اللهِ تعالى[2]، ويجوزُ أنْ يتعلَّقَ بالكونِ الَّذي في خبرِ ﴿لَّا﴾، والتَّقديرُ: لا مَرَدَّ كائنًا مِنَ اللهِ لهُ[3]، ويجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف؛ أي: ذلك منَ اللهِ تعالى، وتكون الجملة استئنافًا في جواب سؤال مُقدّر، تقديره: (ممّن ذلك)، أو حالًا من الضّمير المستتر في الظّرف الواقع خبرَ ﴿لَّا﴾[4].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

ما حَكَمَ بهِ العظيمُ لا مَرَدَّ لهُ

عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّهُ الاسمُ الأعظمُ الجامعُ لأوصافِ الإحسانِ والإنعامِ على المطيعينَ، والقهرِ والانتقامِ مِنَ العاصينَ، والمعنى: لا مَرَدَّ لهُ مِنَ الَّذي لهُ جميعُ العظَمةِ، وإذا لم يكنْ لهُ مَرَدٌّ منهُ، لم يكنْ لهُ مَرَدٌّ مِنْ غيرِهِ[5].

علَّةُ فصلِ ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٍ يَوۡمَئِذٖ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٍ يَوۡمَئِذٖ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ لبيانِ أنَّ أمرَ اللهِ لا عاصمَ منهُ[6]، وفي ذلكَ تأكيدٌ للتَّهديدِ الَّذي يشتملُ عليهِ الكلامُ السّابقُ.

غرضُ تقديمِ ﴿لَكُم﴾:

عنايةُ اللهِ بأمرِ خلقِهِ

قُدِّمَ ﴿لَكُم﴾ على ﴿مِّن مَّلۡجَإٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٍ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 231، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 84.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 258.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 131.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 25/ 52.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 132.

يَوْمَئِذٍ﴾، ولم يقل: (لا ملجأ لكم)؛ لأنّ المقصود إبرازُ العنايةِ بهم، وفي هذا إغراءٌ بالإجابةِ، وكأنَّهُ سبحانَهُ يُشعِرُهم بمزيدِ العنايةِ بأمرِهم، وليسَ المرادُ الاختصاصَ؛ لأنَّ الاختصاصَ معناهُ: ما لكم أنتُم خصوصًا ملجأٌ، وهذا ليسَ بمرادٍ؛ لأنَّهُ لا ملجأ لهُم ولا لغيرِهم[1].

دلالةُ ﴿مِّن﴾ في: ﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾:

لا أملَ في النَّجاةِ مِنْ أمرِ اللهِ

جيءَ بـ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾؛ لتوكيدِ النَّفيِ المستفادِ مِنْ ﴿مَا﴾، والإغراقِ فيهِ[2]، وفي ذلكَ قطعٌ لآمالِهم في النَّجاةِ مِنْ أمرِ اللهِ، حيثُ أُغلِقت كلُّ طُرُقِ الخَلاص أمامَهم، ولم يبقَ لهم إلّا طريقُ الاستجابة.

سرُّ التّعبير بلفظ: ﴿مَّلْجَإٍ﴾:

لا ناصرَ مِنْ عذابِ اللهِ

أوثر التّعبيرُ بقوله: ﴿مَّلْجَإٍ﴾ دون (مأوى) في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾؛ لوجود فرقٍ بينهما، فالمأوَى: مكانُ الأوِيِّ، وهو ما ينضمُّ إليهِ الإنسانُ، ويتَّخذُهُ مكانًا لهُ، أمّا الملجأُ: فهو مكانُ اللَّجَأ، واللَّجَأُ: المصيرُ والانحيازُ إلى الشَّيءِ، فالمَلجأُ: المكانُ الَّذي يصيرُ إليهِ المَرءُ؛ لطلبِ التَّوقّي والحمايةِ، ويُطلَقُ مجازًا على النّاصرِ، وهو المرادُ في قولِهِ تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾، أي: ما لكم مِنْ شيءٍ يَقيكم مِنْ عذابِ اللهِ[3].

غرضُ تنكير ﴿مَّلْجَإٍ﴾:

كلُّ الملاجِئِ مِنْ أمرِ اللهِ منتفيَةٌ

تنكيرُ ﴿مَّلْجَإٍ﴾ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ لإفادةِ العموم؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفيِ تعمُّ، وفي ذلكَ تهديدٌ شديدٌ للمخاطَبينَ؛ إذ يفيدُ الكلامُ انتفاءَ جميعِ أفرادِ الملجأ، حصينًا كانَ الملجأُ أو غيرَ حصينٍ.

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 220.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 132.

بلاغةُ التَّقييدِ بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

فقدُ الملجأِ عندَ شـدَّةِ الحاجةِ إليـهِ حَسْـرةٌ عظيمةٌ

قُيِّدَ بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ دون يوم القيامة؛ للمبالغةِ في التَّهديدِ والوعيدِ؛ لأنَّ العبدَ في هذا اليومِ - وهو يومُ القيامةِ أو يومُ ورودِ الموتِ - أحوَجُ ما يكونُ إلى ما يتَّقي بهِ ويحتمي، فإذا فقدَهُ هنالكَ فهو في حَسْرةٍ شديدةٍ وغَمٍّ عظيمٍ، وفي هذا التّقييد إشارةٌ إلى نفي الملجأ في كلّ المشاهد والمواقف.

بلاغةُ عطفِ ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾:

انتفاءُ العاصمِ والحُجَّةِ غايةُ الإفلاسِ

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ على قولِهِ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾؛ لزيادةِ الوعيدِ والتَّهديدِ؛ إذِ انتفاءُ العاصمِ وانتفاءُ الحُجَّةِ غايةُ الإفلاسِ؛ لأنّهم لا يستطيعون الفرارَ ولا الإنكار، وفي الجمع بينهما بالعطف إشارةٌ إلى رأفة اللّه بعباده بتصوير الموقف قبل وقوعه؛ ليعودوا إلى الاستجابة وهم في فسحة من الوقت.

سرُّ تَكرارِ النَّفي:

لا نـجـاةَ إلّا بالاستجابةِ لأمرِ اللهِ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (ما لكُم مِنْ ملجأٍ يومئذٍ ولا نكيرٍ)، لكنْ عُدِلَ إلى تَكرارِ النَّفي في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾؛ للمبالغةِ في النَّفي بإعادةِ النّافي وما في حيِّزِهِ؛ إبلاغًا في التَّحذيرِ[1]، وقطعًا لأعذارِ المعتذرينَ، ولِما في استقلالِ الجُملتينِ من تأكيدِ نفي الأمرينِ اللَّذينِ لا منجاةَ لهُم في هذا اليومِ إلّا بهما[2]، فلم يبقَ لهُم إلّا الاستجابةُ لربِّهم؛ ليكونوا مِنَ النّاجينَ.

دلالةُ ﴿مِّن﴾ في: ﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾:

جيءَ بـ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾؛ لتوكيدِ النَّفي المستفادِ مِنْ (ما)، والمبالغةِ فيه، وفي ذلكَ تأكيدٌ لانتفاءِ سُبُلِ النَّجاةِ سوى الاستجابةِ للّهِ تعالى.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 347، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 221.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالنَّكيرِ:

ليسَ أمامَ المذنبينَ إلّا الاعترافُ بذنوبِهم

أوثر التّعبيرُ بالنَّكير في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ على صيغة (فعيل) لتعدّد المراد به؛ فهو اسمُ مصدرِ (أنكرَ)، أي: ما لكم إنكارٌ لشيءٍ ممّا اقترفتموهُ، ودوِّنَ في صحائفِ أعمالِكم، أي: لا يَسَعُكم إلّا الاعترافُ دونَ تنصُّلٍ[1]، أوِ المعنى: وما لكم مِنْ نكيرٍ ممَّنْ يُنكِرُ ذلكَ، حتَّى يتغيَّرَ حالُكم بسببِ ذلكَ المُنكِرِ[2]، وبناءً عليهِ فالنَّكيرُ بمعنى المُنكِرِ، وممّا يُذكر في سِرّ اختياره: مناسبتُه للموقف الذي لا ينجو فيه صاحبُه إلّا بالهرب، كما سبق في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾، أو بإنكار الذّنب، وهو المذكور هنا لقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

غرضُ تنكيرِ ﴿نَّكِيرٍ﴾:

تنكيرُ ﴿نَّكِيرٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ لإفادةِ العمومِ؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفي تعمُّ، وفي ذلكَ تقويةٌ لتهديدِ المخاطَبينَ؛ إذ يفيدُ الكلامُ انتفاءَ جميعِ أفرادِ النَّكيرِ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 231، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 132.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 609.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"